

صفحة من تاريخ الاباضية

الحكومة الاباضية في عمان

في القرن الثاني

لما استبد محمد بن أبي عفان اليعمدي وخالف سيرة الحق هو وعماله ،
 فزاله المسلمون ، اجتمع أهل الحل والمقد برئاسة شيخ الاسلام يومئذ وامام العلم
 العلامة موسى بن أبي جابر من بني سامة بن لؤي بن غالب ، وكان من فحول أئمة
 العلم ومن أهل الجدة والشجاعة والاقدام ، فمع كبر سنه كان كثيراً ما يسير مع
 الجنود لرعاية سير الاحكام وترقب الحركات عن كتب والسهر على واجب الدين .
 فبايعوا الامام العادل الوارث بن كعب الخروصي اليعمدي وهو اول امام من
 الخروصيين

أحضر أهل الرأي والمشورة العلامة الامام موسى بن أبي جابر ، وهو شيخ
 مسن ، مشدود على حاجبيه بعمامة ، وكان نائماً في المعسكر على سرير ، فأخذ بيد
 الوارث فبايعه إماماً هو ومن معه من المسلمين في بلد (نزوى) سنة تسع وسبعين
 ومائة على ما يويم عليه أئمة العدل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد
 في سبيل الله واظهار الحق واتحاد الباطل ، وقال البغاة والمتمنعين عن الحق
 حتي يفيتوا الى امر الله ، لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا مبي عيال ، ولا
 انتحال هجرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يسبون أهل القبلة بالشرك
 ما يننوا الشهادتين . فقام بالحق ونشر العدل فبسطت شمس الحرية اشعتها على تلك
 الربوع العامرة واقتفى اثر السلف الصالح في جميع اعماله والامة عنه راضية مؤازرة
 والكلمة مجمعة حوله

وكانت آياته أيام سعادة ورفاهية واطمئنان وانكسار سورة النفوس التي
نفت في حصد الامة ونهيج في شغب الامور واضطراب الاحوال . ولاغرو فان
المهدل متى قرن بارادة قوية وعزيمة ثابتة ظهرت الصالحات في اتوايها القشبية
وعززت المفاهيم بل انتشرت واجتثت اصولها . وتلك الايام هي التي تنوق اليها الهمم
الطاهرة والنفوس الكبار لتبدي لبنى الانسان ما منحها الله من المواهب السامية
ولقد قام بالامر هذا الامام الاثم خير قيام فوضع الاشياء في مواضعها وصرف
الحقوق لاهلها كما امر الله تعالى وامر نبيه صلى الله عليه وسلم فكان أحسن مثال
يحتذى ولم يشذ عنه الا اخوه فقد ذكر انه تخلف عنه

وفي مدته ارسل هرون الرشيد قوة تحت قيادة عيسى بن جعفر بن المنصور
الى عمان للاستيلاء عليها في ستة آلاف مقاتل فيهم الف فارس . فكتب احد
اركان حربه وهو داود بن يزيد الى المهلبى والى صحار من قبل الامام يخبره
بذلك وهو مقارش بن محمد اليمحدي ، فلما بلغ الامر الى الامام الوارث وجه
مقارشا الى الجند القادم في ثلاثة آلاف فالتقوا فكان يقال له « حَتَّى » فانهمز عيسى
ابن جعفر حتى بلغ مرا كبه في البحر فاقتى اثره ابو حميد بن فلج وعمر بن عمر من
قواد الامام في ثلاثة مرا كب فاسر ابو حميد عيسى بن جعفر فانطلق به الى صحار
فحبس بها وكان الامام قد خرج من العاصمة وقتئذ « نزوى » فبلغه خبر الهزيمة
عند ما بلغ « سيقم » فرجع اليها فقام في الناس خطيبا فقال : ايها الناس اني قاتل
عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل - مستشيراً لاهل الرأي والمشورة من
العلماء - فنكلم احد الجمايزة وهو العلامة علي بن عزرة فقال : ان قتلته فواسع لك
وان تركته فواسع لك . فامسك الامام عن قتله وتركه في السجن الا انه اغتيل فيه
من حيث لا يدري الامام ولا الوالي

ولم يزل الامام الوارث حسن السيرة قائماً بالعدل الى ان ذهب شهيد المروءة

والاحسان. وذلك انه كان في سجنه جماعة ولهم اسرى كما ذكر بعض الكتّابين والسجن قريب من الوادي فسال جارفاً فتيل الامام ان الوادي سيلحق من كان بالسجن فامر باطلاقهم فما جسر أحد ان يقدم اليهم خوفاً من طغيان الماء فقال الامام: أنا امضي اذ هم امانتي وأنا المسئول عنهم يوم القيامة. فمضى اليهم واتبعه سبعون من اصحابه فر بهم الوادي بعد ان افتكروا المعتقلين فحملهم ففرقوا كلهم. ووجدت جنته ثاني يوم بعد ان انقطع الماء متملقة بشجرة. فدفن رحمه الله بعد جفاف الوادي بين المقر وسعال (قريتان) وذلك بقرار اهل الرأي والحكمة دفناً لما رقع من المشاجرة بين اهل القريتين كل يريد دفنه في قريته

كانت امامته اثني عشر سنة وستة اشهر الاياما توفي يوم الاثنين لاربع ليال من جمادى الاولى سنة ١٩٢. وفي مدته توفي شيخ الاسلام العلامة موسى بن ابي جابر الازكوي عن سن يناهز اربعا وتسعين سنة قضى جلها في خدمة العلم والدين والامة حتى بلغ مبلغاً عظيماً من الاحترام لدى الائمة واهل العلم. وقبل مبايعة هذا الامام بسنة توفي احد الائمة المجتهدين وقطب من اقطاب العلم الشيخ بشير بن المنذر النزواني العمري جد بني زياد وهو من بني سامة بن لؤي بن غالب وأحد حملة العلم عن ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي البصري

وبعد وفاة الامام وارث بايع المسلمون غسان بن عبد الله اليماني من الفجع يوم الاثنين سادس جمادى الاولى سنة ١٩٢ ذكر المؤرخون أنه بايعه أصحاب الرأي والمشورة من رجال الدولة وائمة العلم على أن يعمل بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح وعلى إعزاز الدين وأهله فكان في أعماله خير خلف الامام الوارث فشرع عن ساق الجد وكان أحزم رأياً وأمضى عزيمة. أخذ بيد العلماء العاملين فظهرت طائفة كبيرة منهم جهابذة وائمة في الفنون فنفق سوق العلم وضرب على أهل الدسائس والفساد قضي على الخشوة الذين دأبهم الشغب والعتو

ومن حزمه أنه كان يتجول في مملكته بنفسه متقداً الأحوال وسير
الاحكام مستظلاً أبناء أطراف المملكة وأمور الرعية . فلما شاهد عصف
المصابت البحرية ولصوص الشواطىء - التي كانت تعيث بطول شاطئ العرب
الى شواطئ الهند - وجه فكره الوقاد وعزيمته الماضية الى انشاء اسطول من
الشذات فاحضر قسماً صالحاً وكانت المصابت اللصوصية البحرية من قرصان
الهنود . وهذا الامام أول من أنشأ الاسطول لمان لا الامام وارث كما ذكر
بعض الكتّابين فأرسل أسطوله في البحر فظهر طول الساحل العربي الى حدود
قارس من مرة اللصوص ثم طاردهم الى شواطىء الهند حتى انقطع أثرهم فأراح
الله منهم البلاد والعباد ، فوجه همته الى اصلاح داخل البلاد ، فاناح الله للبلاد
خصباً عظيماً فعم الرخاء وانتظم أمر المملكة انتظاماً عظيماً وأمر بلجراه المياه والترع
ومما يدل على حزمه وعدله واهتمامه بما كلفه الله به من أمر العبادان من
عادته زيارة قبر الامام وارث كل جمعة فربوما على الفيل « الماء الجاري على
الارض » الذي بالوادي في طريقه فرأى في بعض جوانبه طحلباً فآثر في نفسه
ذلك وقال : هذا أثر عن تغيير وقع في البلد . فأراد اكتشاف الحقيقة والوقوف على
السبب . فاحضر أهل الاموال فقال لهم : أنا أريد حرب الهند وبيت المال لا يكفي
وأريد أن أجعل على التجار قرصاً يكون اداؤه من بيت المال وأشاوركم في ذلك
فقال أصحاب الاموال : التجار يسعون بالفائدة وإن قلت دراهمهم ضاعت المعاملة
بيننا وبينهم ونحن أرباب الاموال والقرضة علينا بما تريد . فقال : لا غير هاهنا .
ثم احضر التجار فقال لهم : أريد أن أحارب الهند وخزانة بيت المال لا تكفي
بمقاومة الحرب وأناظركم أريد أن أجعل قرضه على بيت المال لتقوم هذا الحرب
من أرباب الاموال فأترون ؟ فقال التجار : أصحاب الاموال أهل حرث وأكثر
الحروث لا تكفي ، نمر ما عليها وليس في أيديهم شيء مما يكفي لذلك . فقال الامام :

لا غير هاهنا . ثم أحضر الوزراء و أرباب الدولة قتل : أريد أن أجعل قرصة على أرباب الاموال والتجاري بيت المال لحزب المتدفاعون ، فقالوا : هذا شيء وقم في قلوبنا من قبل . فأدرك في نفسه أن الغير جاءت من قبلهم وانهم أضمر واسوءاً للامة أو لبيت المال . فاستبدل بهم غيرهم . فلما مر في الجمعة الثانية كادته لزيارة الامام وارث على النيل لم ير شيئاً في المساء ، بل رآه زائداً عن أصله . وبالمعدل قامت السماوات والارض

وعاصمة الامامة اذ ذاك نزوى واطلق عليها بيضة الاسلام ، وكانت تسمى قبل ذلك نخت ملك العرب . ولهذا الامام الجليل آثار عظيمة وأعمال فاخرة اخلدها له التاريخ وقد ظهر في مدته بعض المجرمين الذين لا يعيشون الا في الفوضى والتهويز وضروب الدسائس ، كراشد بن شاذان بن غسان بن سعيد بن شجاع الهنائي من بني محارب فانه سار الى « دما » فاتهمها وقتل قومها واليها فاقتنى الامام آثارهم الا أنهم انفلتوا من يديه وبعد مدة اقبل راشد فلم نفسه ليني . الفجح رهط الامام فاخذوا له ولاصحابه أماناً من الامام فلم ير بدا من العفو عنهم درءاً للفتنة وجلباً للسكينة وأعدم كثيراً غيرهم . وللأشراة (١) أثر حميد في حماية الامة والسهر على الامن . وتوفي شيخ الاسلام في عهده العلامة المحقق الشيخ على ابن موسى رحمه الله . ثم كان العلامة المتفهم الشيخ سليمان بن عثمان رحمه الله المرجع في الفتوى للامام . ولهذا الامام مجلس يجمع فطاحل العلماء وأكابر المجتهدين يستنير بأراهم ويقتبس من علومهم ولهم اليه رسائل جمعت من الحكمة والموعظة والارشاد والسياسة شيئاً عظيماً ، وله أحكام مدونة تبدي لك قوة علمه ودهائه ونورانية بصيرته . مات يوم الاحد بعد صلاة الفجر لاربع بقين من ذي القعدة (١) هم المنطوقة لحماية الامة من الأناكر ، ودرء البدع عنها ، والقيام بما يورده الى الامة

والدين من المصالح

سنة ٢٠٧ ومدة امامته خمسة عشر سنة وسبعة أشهر . ومن ورعه وتوقفه في الدماء
وتحريمه فيها أنه قبض على بعض الاشرار ممن استوجبوا الاعدام فاستقى
القاضي وقتلهم فسميهم فسميهم فسميهم فسميهم فسميهم فسميهم فسميهم
من أولى الامر فناظروا القاضي في أمرهم فتحقق له وجوب قتلهم فابلق الامام ذلك
فقال له الامام حتى تعلم ذلك على ملا من المسلمين فلما اجتمع الناس بالمسجد قام
القاضي واقفاً فقال : اني كنت افتيت الامام بمنع قتل هؤلاء واني قد رجعت عن
ذلك وافتيته الآن بقتلهم . فأمر الامام باعدامهم . وفي هذا من الامام من السياسة
مالا ينبغي . ومن انصاف القاضي ورجوعه الى الحق ما يشهد بمقامه الفخيم

أبراهيم الطهري

﴿ دور الكتب في قرطبة ﴾

قل صاحب نفح الطيب (١ : ٢١٥ المطبعة الأزهرية) عن ابن سعيد
صاحب (الحلة المذهبية في حلى مملكة قرطبة) أن عرب قرطبة كانوا يتناخرون
بثلاث : بأصالة البيت ، وبالجندي ، وبالعلم . قال : وهي أكثر بلاد الاندلس
كتباً ، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب ؛ صار ذلك عندهم من آلات
التمين والرياسة حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن
تكون في بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها ، ليس إلا لأن يقال : عنده خزانة
كتب ، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذي هو بخط
فلان قد حصله وظفر به

﴿ الانفماس في البحار ﴾

البحر يعطي دائماً القوة والمال بسرعة أكثر من الارض ، فكل من انفمس
فيه أصاب قوة
هيرودوتس المؤرخ